باب الكتب الجديدة

الإنسان والأخلاق والمجتمع تأليف فلوجل ، ١٩٤٥ ، ٣٢٨ ص .

Man, Morals and Society. A Psycho-analytical study by J. C. Flugel. Duckworth, 1945 pp. 328.

يشغل الأستاذ فلوجل مكانة فريدة فى ميدان علم النفس المعاصر ، فهو يجمع بين المعرفة الواسعة الدقيقة بنظريات علم النفس التقليدية وبوجوه النظر المختلفة التى تقول بها المدارس المعاصرة (وله فى هذا كتاب : مائة سنة من علم النفس) ، وبين الإلمام الجامع والإنتاج الأصيل فى علم النفس التجريبى — ومن هذا كتابه عن « التدريب والتعب والتراوح » — هذا إلى أنه من أساطين المدرسة التحليلية ، وله فى هذه الناحية عدة كتب منها « دراسة الأسرة على ضوء التحليل النفسانى » ، « ومدخل إلى التحليل النفسانى » .

ولقد ظهر كتابه الذى نعرض له اليوم منذ شهور فتلقفه أصحاب الصناعة وغير أصحاب الصناعة ، وأشادت به مختلف الدوريات التى تعرض لشئون الثقافة أو الدين أو الاجتماع — هذا إلى البحوث الطويلة التى نشرت عنه فى مجلات علم النفس والتحليل النفسانى . ولقد أجمعت الآراء كافة على أن المؤلف قد قام فى كتابه هذا بما لم يقم به أحد من قبل للتوفيق بين آراء فرويد وأتباعه وبين المأثور من نظريات علم النفس العام ، وعلى أن قلمه قد زاد على طول الزمن قوة تفيض بلباقة الأسلوب ووضوح البيان . ورغم أنه يندر أن ترضى شيع السيكلوجيين على كثرتها عن مؤلف واحد ، فقد قال عنه جونز رئيس الجمعية الدولية للتحليل النفسانى « إن الأستاذ فلوجل قد أخرج لنا عدة كتب ممتازة ، لكن هذا لا بد أن يكون حقاً أروع مؤلفاته magnum opus ، كما تردد مثل هذا القول من غير أصحاب التحليل .

وليس هذا الكتاب عرضاً عاماً لنظريات المدرسة التحليلية أو لأفانين التحليل النفسانى وتطبيقاته ، بل هو دراسة لمشكلة الأخلاق ومحاولة للربط بين مشكلات العصر

وبين ما تقول به المدرسة التحليلية خاصاً بفكرة « الأنا الأعلى » وبنشوء الضمير .

يبدأ الكتاب بفصل عن « علم النفس والأخلاق » يفتتحه المؤلف بعبارة كلها صراحة وجلاء إذ يقول إنه « من العسير على المشتغل بعلم النفس فى العصر الحاضر أن يتخفف من بعض ألوان الشعور بالحرج والقصور أو الخجل الشديد . . . فهو يفطن أكثر من غيره إلى أن ضروب الفشل فى الماضى وأن مشكلات الحاضر والمستقبل هى إلى مدى بعيد مشكلات سيكلوجية بطبيعتها ... وإلى أن علم النفس رغم التقدم الذى حققه فى نصف القرن الأخير فانه لا يزال متخلفاً تخلفاً مؤسياً إذا قورن بالعلوم الطبيعية ، وأنه ليس بيده سوى سلاح مفلول لكفاح الشرور الكثيرة التى يشكو منها المجتمع » ثم يخرج من هذا إلى القول بأن إعادة بناء المجتمع تستلزم العلم بالدوافع التى تقيم السلوك الإنسانى ، وإلى أنه رغم عدم نضوج علم النفس فان ما وصل إليه مع ما تقول به المدرسة التحليلية يمكن أن يجدى فى إصلاح أحوال الناس فى الأيام المقبلة.

ثم يعرض لما واجهه علم النفس بصفة عامة والمدرسة التحليلية بصفة خاصة من معارضة ومن عقبات . كما يعرض بالنقد للفكرة التى تقول بأنه علم موضوعى لا معيارى تقتصر مهمته على وصف الحياة العقلية وتصنيف وجوه نشاطها إن استطاع ، لكنه ينبغى ألا يتعرض للقيم أو أن يحكم على الظاهرات النفسية بالخير أو الشر . ويفصل الرد على هذا قائلا بأن القيم فى نفسها من وقائع الحياة العقلية وأنه ينبغى التفرقة بين العلم النظرى والعلم التطبيقى . وأن لبعض العلوم مثل الطب وجهان أحدهما يعرض للوقائع ويقيم عليها النظريات والآخر يحاول تطبيق الحقائق النظرية تطبيقاً يتضمن تعرضاً للقيم ، ومن هذا النحو علم النفس بعضه علم نظرى خالص وبعضه الآخر تطبيق على التعليم أو الإجرام أو الحرب . ثم يتحدث عن أنواع القيم ، وعن حلول النظرة العلمية السيكلوجية محل النظرة الأخلاقية المعيارية .

وفى الفصل الثانى يعرض للضمير والإرادة ويؤلف تأليفاً رصيناً بين نتائج الأبحاث التجريبية التى تعرضت لهذه الناحية مثل بحث فرنكل وفيسكويف فى الرغبات والواجبات وبحث وب فى الذكاء والخلق وبحث هارتشورن وماى فى التربية الخلقية ، وبين آراء مكدوجال فى نشوء الخلق وتناسق العواطف .

أما الفصل الثالث فيبحث فى العلاقة بين التحليل النفسانى والأخلاق ويبين أن العلاج بالتحليل أمر يتعلق بالسلوك فى صميمه لأنه يحاول الكشف عن الأمور

التى لا يرضى عنها الضمير ، وهنا يبدأ فى عرض نظرية المدرسة التحليلية عن الضمير (الأنا الأعلى) فيعرض أربعة ينابيع يقوم عليها .

أولها هو اتجاه جانب من الليبدو النرجسى نحو « مثل الأنا » Ego-Ideal وهذا هو ما يدور عليه الفصل الرابع الذى يعرض فيه فلوجل آراء المدرسة التحليلية عرضاً محايداً يحاول أن يوفق به بين هذه الآراء وبين آراء مكدوجال وبلدوين ، كما يتضمن تقديراً كريماً لما قال به أدلر فى هذه الناحية .

ويتحدث الفصل الخامس عن رضى الجماعة وعن مثل الأنا فيعرض لكيفية اتخاذ الذات للتعاليم والميول الخلقية التى تسود بين الناس وخاصة ما يراه الناشىء منها بين أهله أو من يشبهونهم بالنسبة إليه .

وفى الفصل السادس حديث ممتع عن أشكال الصراع التى تدور فى مثل الأنا وأمثلة طريفة عن محاولات النفس لحل هذا الصراع .

ثم يعرض الينبوعين الثالث والرابع لنشوء الأنا الأعلى فى فصلين أحدهما يعرض لاتجاه العدوان نحو الذات Nemesism والآخر للعلاقة بين العدوان وبين الميول السادية والماسوكية ثم يشغل تحليل العدوان ومختلف الأشكال الملتوية الغامضة التى يظهر بها سبعة فصول من الكتاب . كلها أمور كبيرة الأهمية غنية بأشكال التفكير ومختلف الأمثلة والحالات التى عالجها المؤلف نرجو أن نعود إلى عرضها بالتفصيل فى فرصة أخرى .

ثم يختتم الجانب الأساسى فى الكتاب بفصل عن سيكلوجية التقدم الأخلاقى فيعرض لثمانية ميول يقوم عليها تصنيف وجوه هذا التقدم منها الاتجاه من التركز حول الذات إلى الاهتمام بالمجتمع ، ومن اللاشعور إلى الشعور ، ومن الكف الأخلاقى إلى الخير التلقائى ، ومن العدوان نحو التسامح والمحبة .

أما الجانب الأخير من الكتاب فيشمل ثلاثة فصول أحدها يبحث فى مسألة الدين وثانيها يبحث فى المذاهب الاجتماعية المتطرفة وآخرها يبحث مشكلة الحرب والسلام

ولسنا نستطيع بعد فى هذا التعريف القصير بذلك الكتاب الثمين إلا أن نقول إن صاحبه قد وفق توفيقاً ممتازاً فى عرض نظريات التحليل عرضاً قوياً مقنعاً . فان قيل بأن نظريات التحليل لا بد أن تجرى عليها التجارب وأن تحلل نتائجها تحليلا إحصائياً قبل أن تصبح حقائق علمية موضوعية ، وجب أن نذكر أن دقة العلوم الطبيعية لم تكن ثمرة لطرائق التجريب والإحصاء فحسب بل هى قد قامت أيضاً على

وضوح الفكرة النظرية ودقتها ، وهذا هو أروع ما يميز كتاب فلوجل الأخير ، فليس من أصحاب التحليل من استطاع أن يفوقه فى عرض الآراء التى يقولون بها عرضاً واضحاً دقيقاً يمكن أن يمهد السبيل إلى تضمينها بين نظريات علم النفس العام وأن يخضعها للملاحظة ولطرائق التجريب التى يمكن أن تقيمها حقائق علمية كما تثبت الحقائق العلمية الأخرى .

اسحق رمزى

الذكاء : تطوره وأشكاله تأليف جستون فيو .

Gaston Viaud : L'intelligence, son évolution et ses formes. Presses Universitaires de France, Paris. 1946. Pp. 114.

كتيب فى مائة واربع عشرة صفحة من القطع الصغير أصدرته دار « المنشورات الجامعية » فى فرنسا فى العدد العاشر بعد المائتين من سلسلة : « ماذا أعرف ؟ » فى الثلث الثانى من سنة ١٩٤٦ . وهو يتألف من مقدمة وبابين وخاتمة . تبحث المقدمة فى الصفات العامة لأفعال الذكاء وتميز بين تلك الأفعال وبين الأفعال الغريزية ثم تعرض لمختلف أشكال الذكاء فتجمعها فى قسمين أحدهما هو الذكاء العملى ويشرحه المؤلف فى الباب الأول من كتابه والثانى هو الذكاء المنطقى العقلى وقد خصص له الباب الثانى من الكتاب وتأتى بعد ذلك خاتمة تلخص ما جاء فى الكتاب وتعرض لبعض المسائل الفلسفية التى تتعلق به ثم يلحق المؤلف بما تقدم ذيلا يشرح فيه معضلة فى « البليارد » كان قد طلب حلها من القارئ فى الباب الثانى .

أما خلاصة الأفكار المعروضة فى هذا الكتيب فقد جمعها المؤلف فى الخاتمة بقوله : رسمنا فى هذا الكتاب مخططاً لأهم أشكال الذكاء وتطورها من الحيوان إلى الإنسان الراشد المتمدن مارة بالطفل وبالإنسان الإبتدائى أو بتعبير آخر من الغريزة إلى الذكاء المنطقى العقلى مارة بمختلف أنواع الذكاء العملى . فرأينا أن الذكاء الحيوانى يستخرج من الغزيرة كما رأينا الآلة تحتل محل العضو بالتدريج بينما تترك المحاولات الإتفاقية محلها لتقوم مقامها فيه إبتكارات الحلول الموافقة للوضع الراهن بناء على فهم حدسى لهذا الوضع . ورأينا كيف تولد عند الطفل مع تطور الفكر واكتساب اللغة مقدرات جديدة على العمل وكيف أن هذه المرحلة الجديدة عند الطفل تتميز

باستخدام فيزياء فطرية ضرورية لتقدم الذكاء العملى أما عند الإنسان البالغ الراشد فقد نظرنا إلى تطور ذكائه خلال تاريخ البشرية الطويل فرأينا الذكاء ينمو فى مستويين متمايزين هما مستوى العمل ومستوى الفكر ولكن النمو لا يسير فى المستويين بسرعة واحدة بل يتأخر الفكر عن العمل ففى ميدان العمل ينمو أولا الذكاء الفنى للإنسان العامل homo faber ويتميز هذا الذكاء بانتاج واستعمال الآلات التى تتحسن وتتقدم بنتيجة الصبر الطويل والملاحظة فان العامل يقوم باصلاحات متتالية متعددة فى الآله معتمداً على اكتشافات تجريبية وعلى حدث فيزيائى فطرى فيحصل بذلك على نتائج تدهشنا اليوم . وأخيراً وبعد جولة طويلة فى ميدان العقلية البدائية يبدأ نمو الذكاء فى المستوى الفكرى فيظهر الذكاء المنطقى العقلى عند الإنسان المفكر homo sapiens الذى يخلق آلات عقلية منتجة أغزر الإنتاج مثل سلسلة الأفكار المجردة والمبادئ والقواعد المنطقية والمناهج العقلية . وبهذا يزداد المظهر العقلى فى الفعل ويقل المظهر التجريبى أو تصبح مميزاته الرئيسية هى التنبوء الصادق بالنتائج والثقة والسرعة فى التنفيذ والإنتاج بالجملة . هذا الذكاء العقلى المنطقى هو الذى انتهت إليه جهود الحضارة الغربية منذ أقدم مهندسى الإغريق إلى عصرنا هذا . »

ثم يبين المؤلف أن الخط البيانى لهذا التطور يبدو خطاً مستمراً متصلا إذا نظرنا إلى التطور فى مستوى العمل لأن الشروط التى تحدد العمل ثابتة تقريباً ولكنه يبدو خطاً متقطعاً إذا نظرنا إليه فى مستوى العقل لأن العقل على مستويات يظهر فى كل منها شكل من أشكال الذكاء . وقد عرض المؤلف بعد هذا إلى بعض الأفكار الفلسفية العملية كالفارق بين الإنسان وبين الحيوان فاقترح أن يكون هذا الفارق هو ظهور الفكر التصورى . كما بحث فى أسبقية الفكر على العمل أو العكس فقرر أنهما يوجدان معاً .

محمد خير حسن

الطاقة الروحية تأليف هنرى برجسون وتعريب الأستاذ سامى الدروبى

(الناشر : دار الفكر العربى بمصر — ١٩٤٦ — ١٨١ ص)

لئن حق لنا أن نقرر أن علم النفس أخذ يخطو فى مصر خطوات واسعة لأننا أخذنا نطبع تفكيرنا فى المسائل السيكلوجية بالطابع المصرى ، كما قرر ذلك

أستاذنا الدكتور يوسف مراد ؛ فانه يحق لنا أن نقرر كذلك أننا أخذنا ندعم هذه الخطوات بترجمة بعض المؤلفات الغربية ، مما يعين على تفهم الأصول الغربية لعلم النفس الذى ينطبع الآن بالطابع المصرى ، ومما يوفر على المؤلف العربى والقارئ العربى معاً شيئاً كبيراً من الجهد للتعريف بأصول الموضوعات التى تعالج — أو للتعرف عليها.

وكتاب « الطاقة الروحية » الذى قام بترجمته أخيراً ترجمة موفقة زميلنا الأستاذ سامى الدروبى ، إن هو إلا مجموعة محاضرات وبحوث قام بها هنرى برجسون ما بين عامى ١٩٠١ — ١٩١٣ . وفى هذه المجموعة نلمح ظاهرة جديرة بالاهتمام . فالأعوام التى ظهرت فيها هذه المجموعة من المحاضرات والأبحاث ، كانت هى الأعوام الحاسمة فى تاريخ علم النفس ، فقد كان موضوع علم النفس بدأ يتضح ويتحدد ، محاولا أن يقيم نفسه على دعائم علمية بعيدة عن روح الميتافيزيقا . فكان فونت وتلامذته قد أخذوا ينشرون معاملهم وطريقتهم التجريبية فى علم النفس ، كما أنه كانت قد أخذت تنشر كتب فرويد ووليم جيمس وأمثالها من حاولوا أن يصبغوا علم النفس بصبغة علمية أكثر منها فلسفية . وفى كتاب « الطاقة الروحية » ، بل نكاد أن نقول فى كل التأمل البرجسونى — نلمح بوضوح كيف يتاح لعلم من العلوم أن ينفصل رويداً رويداً عن الميتافيزيقا بعد ما تمت عملية إخصابه فى ميدان الفكر الإنسانى ، هذا المقتحم الجرئ .

فنحن نجد أولا أن ثمة كتباً بكاملها تؤلف فى البحث عن أصول الموضوع ، كالكتاب الذى بين أيدينا ، فلم تعد الميتافيزيقا تتعرض له عرضاً إلى جانب دراستها لموضوعات أخرى ؛ بل بدأت تحس بضرورة اهتمامها بهذا الموضوع من أجل أن تسيطر عليه حتى يظل فى حظيرتها ، وهذا الاهتمام وحده هو الذى يؤدى إلى انفصاله نهائياً عن الميتافيزيقا . ونحن نلاحظ ثانياً كيف تستطيع الميتافيزيقا ، بما لها من حرية وجرأة وعدم تقيد بالتجربة ، أن تقتحم مشاكل وتثير خصوبة فى الموضوع الذى أوشك أن يتسلمه العلم ؛ وهذا يتيح آفاقاً غنية يطوف بها المنهج العلمى فيثبت البعض ويرفض البعض . وهكذا ترى برجسون يبحث فى علاقة الشعور بالحياة ، وعلاقة النفس والجسد ، ويبحث فى الحلم ، والذكرى والتعرف الكاذب ، والجهد العقلى ، والدماغ والفكر . . . ونحن نلحظ ثالثاً كيف يحس الفيلسوف أثناء معالجته موضوعاً أوشك أن يصبح علماً ، بقصور الميتافيزيقا ، فالميتافيزيقا تخسر فى التعمق (بمعنى الوصول إلى شئ يقينى) ما تكسبه فى الإتساع

وهكذا نجد برجسون ثائراً على المنهج الميتافيزيقى ، ويهيب من حين لآخر باللجوء إلى تلك الطوائف المختلفة من الوقائع التى « لا تؤدى إحداها إلى المعرفة المنشودة ، ولكن تدل على الاتجاه الذى نجدها فيه » ورغم هجومه على الميتافيزيقا ووصفه لها بأنها « تفكير هندسى حول معان مجردة » فانه لا يلبث أن يكشف عن طبيعة الميتافيزيقى فيه ، فاذا به قد أقام بناء هندسياً للوجود : فهناك المادة ، وهناك الشعور « فأما المادة فهى ضرورة ، وأما الشعور فهو حرية » و « على الطريقين الكبيرين اللذين وجدتهما وثبة الحياة مفتوحين أمامهما ، طريق سلسلة الحشرات الأرتروبودية ، وطريق الحيوانات الفقرية ، ظهر إذن ، فى اتجاهين متباعدين ، الغريزة والعقل ، وكانا فى أول الأمر متداخلين . ففى أقصى الخط الأول تقع الحشرات الهيمونبتريه وفى أقصى الخط الثانى يقع الإنسان » . وهكذا يعود ناقد الميتافيزيقا إلى التفكير التنظيمى العام للوجود ، وهو جوهر الميتافيزيقا . وتلك نتيجة للقلق الحق الذى يعانيه الفيلسوف عند ما يتأمل موضوعاً أصبح قادراً على أن يأخذ مكانة له بين العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة ؛ وكان هذا إيذاناً بأن الفلسفة قد أوشكت أن تضيف إلى ميدان العلوم الإنسانية ميداناً جديداً .

ومع ذلك فليس ثمة علم من العلوم يستطيع أن ينفصل عن الفلسفة تماماً . وهذا راجع إلى تشابك جوانب المعرفة الإنسانية أولا ، وراجع ثانياً إلى طبيعة الفلسفة التى من شأنها أن تتناول الأصول البعيدة لكل ما ولدت من علوم أثناء تاريخ الفكر الإنسانى . لكن الظاهرة الجديدة التى تثيرها علوم الروح بوجه عام — وعلم النفس بوجه خاص — هى أنها لا تكتفى بالثورة على الفلسفة التى نشأت يوماً فى أحضانها ، بل تحاول أن تخضع الفلسفة لمنهجها . وهذا بالطبع لم يكن متيسراً إلا فى علوم الإنسان ، طالما أن الفلسفة عمل إنسانى بالضرورة . فالفيزياء والكيمياء مثلا لا تستطيعان نقد الفلسفة إلا نقداً سلبياً صامتاً بما تصل إليه من نتائج تخالف أو تؤيد الفروض الفلسفية والنظريات الميتافيزيقية ، أما عالم الاجتماع مثلا فانه يحاول أن يفسر الفلسفة من خلال منهجه الاجتماعى ومن حيث هى تعبير عن نظام اجتماعى ما أو آراء طبقة اجتماعية معينة ، وهذا موقف ايجابى مختلف عن موقف الفيزياء والكيمياء . وهذا راجع من ناحية إلى طبيعة علم الاجتماع — وما يشبهه من العلوم التى تتناول حياة الإنسان الروحية — من حيث أنه يتناول النشاط الفكرى والعاطفى الإنسانى

ومن ناحية أخرى طبيعة الفلسفة من حيث أنها نشاط إنسانى من بين أوجه النشاط التى يمكن أن تتناولها علوم الروح .

وكذلك الأمر فيما يختص بعلم النفس ، فانه لم يكتف بمحاولة الثورة على الميتافيزيقا ، بل حاول وضع التفكير الميتافيزيقى داخل معامله . وهكذا نجد برجسون يقوم بمحاولات أولى عند ما يحاول أن يتعرف طبيعة « الجهد العقلى » . وحيث نستطيع أن نجد امتداداً لهذا فى المحاولات التى قامت بها مدارس علم النفس المختلفة من أجل توضيح سيكلوجية العامل البنائى فى التفكير الميتافيزيقى .

يوسف اسحق الشارونى

معاملة الاقليات تقرير وضعته جماعة من علماء النفس والاجتماع برئاسة شارلز مايرز

Attitudes to Minority Groups. A report prepared by a committee of psychologists and sociologists, under the Chairmanship of Charles S.Myers. Newman Wolsey Ld. London, 1946. Pp. 61.

هذا التقرير الذى بين أيدينا كتب إجابة لطلب جمعية اليهود والمسيحيين . وكانت الفكرة الأولى هى دراسة سيكلوجية العداء للسامية antisemitism ، لكن اللجنة التى عينت للبحث انتهت إلى التوسع فى الموضوع بحيث يشمل تقريراً عن الأقليات بوجه عام . رغم أن مشكلة كل أقلية تختلف عن مشكلة الأقليات الأخرى ، بل إن مشكلات الأقلية اليهودية نفسها تختلف من مكان إلى آخر .

وينقسم التقرير إلى أربعة فصول . عولج فى الفصل الأول منه معنى الحب والكراهية وعلاقة القلق بالخوف والغضب . فالأصل فى الخوف أو الغضب هو إغراء الأم بابعاد مصدر الخطر أو المضايقة عن الطفل ، ثم يتطور لدى الكبار فيصبح مصاحباً للهروب أو الاعتداء . ثم تعرض التقرير لأصول المنافسة وأصولها حيث تبدو لدى الطفل حين يولد له أخ جديد ، وحيث ترتبط هذه العاطفة الجديدة بانفعالى الخوف أو الغضب . فكل عضو غريب سواء كان ينضم إلى قطيع الحيوان أو إلى مجتمع إنسانى فانه يعتبر خطراً من الناحية البيولوجية يجب إزالته ، تماماً كما يفرز الدم ما يطرد المواد الغريبة التى تختلط به . هذا إلى أن الغريب فى المجتمع الإنسانى يثير مشكلات بما يحمله من اختلافات فى اللغة والجنس والدين والثقافة والعقيدة والملبس . . . ويمكن

أن تقوم منافسة محترمة بين جماعتين فى قوة واحدة ، أما إذا كانت إحدى الجماعتين أنقص من الأخرى ، فانه بدلا من الاحترام المتبادل تحل الكراهية والاحتقار . وهنا تظهر ميول فى الجماعة الكبيرة للسيطرة على الأقليات . لكن سرعان ما تتخذ كراهية الأكثرية واحتقارها للأقلية معنى أخلاقياً ، فتصبح الأقلية فى نظر الأكثرية مصدر الشر ، والمسئولة عن المجاعات والكوارث . ومن ثم فالأقلية لم تعد مكروهة لأنها مصدر الشر فحسب ، بل لكونها مكروهة أصبحوا يكتشفون فيها كل يوم شروراً جديدة . وهكذا فان الأقلية تصبح مكرهة على أن تحيا فى عزلة ، وهذه العزلة تضاعف من كراهيتها والشك فى نياتها . ومن هنا أصبح الإحساس بالنقص منطبعاً فى نفسيات الأقليات . لكن هذا الإحساس بالنقص كثيراً ما صاحبه تعويض هو عبارة عن إحساس بالعظمة ، فاليهود كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار من بين الشعوب الكثيرة التى كانت تحيط بهم من كل جانب . وهذا بغير شك كان يعود فيزيد من كراهية جيرانهم لهم . ومن ناحية أخرى فكما أن الابن الذى يعامله والده بقسوة ، يعود فيعامل طفلا آخر بنفس هذه القسوة ، فاننا نجد الأقليات التى لديها رغبات اعتدائية مكبوتة . تعود فتنتقم بالتفوق فى ميدان المنافسة الاقتصادية أو الفكرية مما يزيد فى كراهيتها .

وفى الفصل الثانى يتعرض التقرير لمعتقدات الجماعة من حيث عموميتها وتطورها . فيقول أولا إنه لا تكاد توجد جماعة من الناس لا تعيش بينها أقلية . ومبادئ العداء للأقليات تلقن منذ الطفولة . فيشب الطفل وهو يكره الأقلية رغم أنه قد يكون على علاقات طيبة مع بعض أفرادها ، ذلك أن الميول نحو الأقليات إنما هى ميول جمعية وليست فردية . ولا يكون العداء للأقلية قائماً على أساس فهم عاداتهم وعقائدهم وثقافاتهم ، بل ربما على أساس حادثة لبعض أفراد الأسرة مع أحد أفراد هذه الأقلية . ولا شك أن هناك فى كل جماعة أفراداً سيئى السلوك لكن نسبتهم ليست فى الأقلية أكثر مما هى فى الأكثرية . ولا بد أن نقيم وزناً لإحساس أفراد الأقليات بالنقص ، وما يسببه هذا الإحساس فى نفوسهم . إن قرونا من الاحتقار والقسوة والمذابح لا يمكن إلا أن تترك أثراً من كراهية الأقليات العميقة للأكثرية التى يعيشون بينها ، وتبدو هذه الكراهية فى تمسكهم بعقائدهم واحتقارهم للأكثرية . فليس مركب العظمة إلا دفاعاً آلياً عن الإحساس بالنقص .

والفصل الثالث يعالج مشكلة الأقليات والاختلافات الجسمية والعقلية . فهناك

عوامل تعمل على إبقاء الأقلية وعوامل تعمل على فناء الأقلية فى الأكثرية . فمثلا عدم زواج اليهود بغيرهم جعل وجودهم كأقلية مستمراً ، كما أن وجود الزنوج فى أمريكا بلونهم الأسود وتاريخهم العبودى جعل من الصعب امتزاجهم بالأوربيين الذين هاجروا إلى أمريكا . وهنا نجد فكرة العنصرية تلعب دورها فى تبرير اضطهاد الأقليات رغم أنه لا يكاد يوجد اليوم شعب لم يمتزج بدماء شعب آخر . هذا إلى أن الوراثة ليست هى المؤثر الوحيد على الفرد ، بل هناك البيئة التى قد تختلف لدى أفراد العنصر الواحد ، ولو أن الوراثة لها الأهمية الأولى بغير شك لأنها هى التى تحدد مدى إمكانية تغير الكائن الحى فى البيئة . فاليهود يتشكلون جسمياً بشكل الشعوب التى يعيشون بينها ومع ذلك فانهم يظلون محتفظين ببعض المظاهر الجسمية لليهود . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالناحية العقلية ، فليست كلها متوقفة على الوراثة بل إنها تتأثر بالبيئة الثقافية والظروف الاجتماعية . كما نلاحظ أن أفراد الجماعات يختلفون فى قابليتهم للتكيف مع البيئة الجديدة التى يوجدون فيها .

ولا يأتى الفصل الرابع حتى يتعرض التقرير للأقليات ومعاملتهم فى المستقبل . فيعرض أولا إلى أن غرضاً من أهم أغراض عصبة الأمم إنما كان تأمين الأقليات ، وتنظيم الدول لا على أساس عنصرى بل على أساس تعاون الأقلية مع الأكثرية فى أسرة واحدة . ثم يقول إن أساس تمييز الأقلية اليهودية فى انجلترا اليوم ليس هو الدين وحده ، ذلك لأن حدة التعصب الدينى قد خفت بحيث أن الخارجين على كنيسة انجلترا — أى المذهب الانجليكانى — لم يعودوا يعدون أقليات ؛ إن اليهود يميزون كأقليات بسبب تراثهم الثقافى إلى جانب اختلافهم مع بقية الشعب الانجليزى فى الدين . وقد يبدو أن هذا الاختلاف الثقافى يجعل التعاون مستحيلا ، والواقع أن الأمر يمكن أن يكون على عكس هذا ، فقد حدث عند احتكاك المسيحية بالوثنية أن خرج شىء جديد ليس هو الوثنية ولا هو المسيحية الأولى تماماً ، بل هو تكامل بين الاثنين ، وهذا هو ما يحدث أيضاً بالنسبة لفردين يشتركان فى مشروع ما ، أن يتم بينهما شىء من التكامل ؛ وهكذا فان عملية التكامل الاجتماعى لا يمكن أن تتفق مع وجود العوامل النفسية لتأكيد الذات أو الرغبة فى السيطرة التى تقابلها رغبة فى الخضوع . وهكذا يمكن أن تظل الأقلية مع الأغلبية ، لا على أساس أن ينتهى الأمر بافناء الأقلية فى الأغلبية ، بل على أساس أن يستفيد كل من الآخر . ومع ذلك فان اليهود فى القرن العشرين بدأوا يحسون القلق أكثر مما أحسوه فى القرن التاسع عشر

وبظهور النازية التى تنادى بتفوق العنصر الآرى أصبح اليهود معرضين للمذابح والنفى والتشريد ، ومن هنا قامت الدعوة الصهيونية . لكن كثيرين من اليهود لا يودون ترك بلادهم ، فاذا توفرت الديموقراطية الحقة فى البلاد ، فان كثيرين يفضلون التعاون مع شعوب هذه البلاد .

ثم يتعرض التقرير أخيراً لمعنى كلمة « شعب nation » وكان أكثر صواباً لو أنه تكلم عن الدولة state ، لأنه فى الواقع خلط بينهما . فالشعب هو الذى يجب أن تتوافر فيه وحدة اللغة والدين والوضع الجغرافى . . . الخ أما الدولة فهى الجهاز المتكون من الحكومة والجيش والبوليس لحكم الشعب . وقد اضطر التقرير بعد ذلك إلى أن يضع كلا من الشعب والدولة فى مكانهما ، فقال إنه إذا لم تستطع الأقلية التى تكون شعباً ما أن تعيش مع الاكثرية التى تكون شعباً آخر كأسرتين متحابتين فى ظل دولة واحدة ، فمن الأفضل أن يكون لكل شعب دولة ، بحيث يتألف اتحاد بين هذه الدول .

كما أننا نأخذ على هذا التقرير أنه لم يتعرض إلى تحليل الدوافع التى أدت إلى وجود مذاهب فى القرن العشرين كالنازية والفاشية تدعو إلى اضطهاد اليهود . إن الدوافع السيكلوجية لاضطهاد اليهود فى ظل هذه النظم ، إنما هو تحويل أنظار الشعب عن سبب بؤسه الحقيقى ، وهو نظام الاستغلال . فبدلا من أن يقال له إن المستغلين الألمان أو الأيطاليين هم سبب فقر الشعب الحقيقى يقال له إن السبب هم الشعوب الأخرى كالانجليز والفرنسيين والروس . لكن هذه الشعوب بعيدة لا يمكن الانتقام منها إلا فى حرب ؛ لكن ثمة أقليات يهودية تعيش بين أحضان الشعب الألمانى أو الإيطالى ، وهؤلاء مثل حى قريب يمكن أن تصرف عليه الدوافع الاعتدائية المكبوتة لدى جماهير الشعب الكادحة المرهقة . فالى أن تأتى الحرب ، فليكن الكفاح ضد اليهود ، بدلا من أن يكون ضد المستغلين أيا كانوا . ومن هنا وجب على كل أقلية ألا تحسب أن اضطهادها بسبب دينى أو عنصرى بقدر ما هو اضطهاد لأنهم أصبحوا كبش الفداء . فلا يكون كفاحهم على أساس دينى أو عنصرى بل على أساس اقتصادى ضد الاستغلال .

وأخيراً لم يتعرض التقرير لمغزى الحركة الصهيونية ، وهل هى ترمى فى براءة إلى حل مشاكل الأقلية اليهودية أم أنها وسيلة لتثبيت قدم الاستعمارين البريطانى والأمريكى فى الشرق الأوسط . وأننا لو حللنا الحركة الصهيونية لوجدناها تصطبغ بصبغة النازية

الفاوشية التى اضطهدتهم من قبل ، لأنها تقوم على أساس التعصب للجنس اليهودى واستعمال الطرق الإرهابية النازية . وعلى أية حال فالتقرير عرض فى النهاية إلى أن كثيرين يفضلون الاستمرار فى البلاد التى يعيشون فيها لو أنه أعطيت لهم الحريات التامة ، أو أنشأوا لهم دولة فى اتحاد مع دول الشعوب التى يعيشون بينها . ولعل قصر التقرير هو الذى حال دون اتساع المجال لمثل هذه المسائل .

يوسف اسحق الشارونى

الطفولة الشاذة

دراسات فى علم النفس الإكلينيكية نظمتها المدرسة العملية لعلم النفس والتربية التابعة لجامعة ليون فى فرنسا . باريس ١٩٤٦ — ص ٢٦٣

L'Enfance Irrégulière— Psychologie clinique par Bourrat, Dechaume, Gallavardin, Girard, Kohler, Pellet, Thévénin, Vérel. Bibliothèque de l'Ecole Pratique de Psychologie et de Pédagogie (Lyon). Presses Univ. de France-Paris 1946. Pp. 263.

تحدثنا فى عدد أكتوبر ١٩٤٦ فى باب أخبار علم النفس فى مصر والخارج (ص ٣٧٠) عن معهد علم النفس والتربية بجامعة ليون بفرنسا * . وقد نشر المعهد كتابه الأول « دروس فى علم ننفس الطفل » سنة ١٩٤٣ ألقاها فى سنة ١٩٤٢ فريق من الأطباء وعلماء النفس والتربية . ولما أدى هذا التعاون بين الأطباء من جهة وعلماء النفس والتربية من جهة أخرى إلى نتائج عملية مفيدة نظم المعهد فى عام ١٩٤٣ سلسلة ثانية من المحاضرات عن مختلف نواحى الشذوذ والاضطراب فى الطفل اشترك فى إلقائها ستة أطباء واثنان من علماء النفس والتربية ، مطبقين ما أشار إليه أحد رواد التربية الحديثة فى القرن السادس عشر الكاتب الفرنسى الشهير مونتنى Montaigne: إننا لا نربى نفساً فحسب ولا جسما فحسب ، بل إنساناً ، فلا يجب الفصل بينهما .

والكتاب الذى نحن بصدده يقدم لنا هذه المحاضرات القيمة الحية . والفصل الأول يعرض مشكلة الطفولة الشاذة بطريقة إجمالية ، مبيناً الخطط الرئيسية لدراستها ومعالجتها . فنجد تحديداً للشذوذ بأنواعه المختلفة وأسبابه البعيدة والقريبة . وأهم ما

* تحول هذا المعهد إلى مدرسة عملية لعلم النفس والتربية إبتداء من نوفمبر ١٩٤٥ .

يمكن ملاحظته فى دراسة الأساليب الرجوع إلى أصول التكامل الإنسانى ومحاولة الوقوف على الأسباب الجسمية والنفسية والاجتماعية . ورغم التداخل الكبير الملاحظ بين هذه الأساليب يجد القارئ تمييزاً دقيقاً يجمع بين الأسلوب التحليلى وبين الواقع الذى يتضمن الجمع والتركيب . وتصنيف أنواع الشذوذ يرسم لنا الخطة التى يجب اتباعها فى بحث كل حالة :

(١) أنواع الشذوذ الحركى والحسى واللغوى والحشوى وأخيراً ما هو خاص بضبط المثانة .

(٢) الناحية النفسية ؛ التأخر العقلى ، الاضطرابات الخلقية والمزاجية

(٣) اضطرابات السلوك والشخصية فى الأسرة والمجتمع . ويعنى هذا الفصل بابراز آثار العائلة وسلوك أهل الطفل فى كل ما يترك أثراً سيئاً فى ميوله واتجاهاته وأفعاله .

ويعرض الفصل الثانى والفصل الثالث لحالات التأخر العقلى والتربوى . فنطلع على طرق اكتشاف حالات التأخر وضرورة التبكير فى تشخيص التأخر لئلا يتعذر الإصلاح . ويعنى الفصل الثانى خاصة بتحديد سن الدراسة ونوعها وتعيين المراحل الهامة لاكتساب العادات والمهارات .

ويحاول صاحب الفصل الثالث التوسع فى أسباب التأخر التربوى . وهو يشير بالحاح إلى أخطاء العائلة وأخطاء المدرسة فى تنظيم سير التربية ، كما أنه يشير إلى آثار الحرب التى أدت إلى ظهور حالات نفسية معينة مثل عدم المبالاة ونقص الاهتمام وزيادة درجة السلبية وشدة الشعور بالتعب .

والفصلان الرابع والخامس متممان أحدهما للآخر . فهما يدرسان كل ما يتعلق بالانفعالات وبالاضطرابات العاطفية . ويعتبر الفصل الرابع مقدمة عامة لما بعده إذ يفصل القول فى طبيعة الانفعال وآثاره وعلاقة التعبير الانفعالى بالحالة الوجدانية . وعلى أساس هذا التعبير يمكن تقسيم الأفراد إلى فئتين : شديد الانفعال وسريع التأثر ثم ناقص الانفعال وبليد . وأهم ما جاء فى هذا البحث شرح تأثير شدة الانفعال فى الملكات العقلية والنشاط والتكيف مع المجتمع .

والفصل الخامس ، فضلا عن أنه يقدم لنا دراسة إجمالية للعاطفة والميول وصلتها بالبيئة ، فانه يعنى عناية خاصة بالاضطرابات الخلقية المزاجية ذات المنشأ الوجدانى . يعتقد كثير من الناس أن الطفل مجرد من كل الميول والعواطف المنظمة للسلوك ولكن صاحب هذا الفصل يرى على العكس من ذلك أن التنظيم يرجع لعوامل ذهنيـــة

وإرادية تستند إلى سهولة التعود التى يتميز بها الطفل . فبدلا من أن تحدث المواقف الجديدة اضطراباً ، فان الطفل يتعودها ويتكيف معها . ويمتاز هذا البحث بالأمثلة الحية التى أيد بها الباحث دراسته . وأثبت لنا أن الشعور بالنقص يؤدى دوراً كبيراً فى اضطراب السلوك العاطفى لدى الطفل . وبالمقارنة بين الطفل السوى والطفل الشاذ اتضحت خصائص الاضطراب العاطفى وآثاره فى الخلق كما اتضحت طبيعة المحاكاة وسلوك التعويض .

ومن بين الفصول التالية التى خصصت لدراسة أنواع الفساد الأخلاقى وانحرافات التخيل وعوامل التعب والإرهاق والكسل نخص بالذكر الفصل الثامن الذى يعالج مشكلة الطفل الكثير الحركة ، العاجز عن الاستقرار مدة طويلة . وهذا البحث مدعم بالملاحظات التجريبية وبالاتجاهات الجديدة فى علم النفس . وأهم نقطة ظهرت فى هذا البحث ربط الانتباه بالحركة . فالاضطراب الحركى يعتبر صدى للاضطراب الفكرى الداخلى . ويكون الطفل غير المستقر حركياً متأخراً فى الدراسة لأن تفكيره مشتت وسريع الانتقال بدون نظام ولا توجيه ، ويكون الخلل عاماً فى جميع قواه العقلية . وحاول الباحث ربط هذا الاضطراب الحركى الفكرى الشامل بعدة اضطرابات سلوكية معروفة مثل إدمان الخمر وغير ذلك .

وبعد هذه الدراسة التفصيلية لأنواع الشذوذ والاضطراب خصصت الفصول الأخيرة للبحث عن طرق العلاج . وأول خطوة فى العلاج يجب أن تقوم على إعادة التربية rééducation . وأهم شىء يجب تعليمه للطفل المتأخر القيام بفعل التفكير التام . وقد وضع منهج خاص للعلاج يجب أن يكون فردياً فعالا يدفع الطفل إلى العمل ، لا إلى التوقف والفراغ من الحركة ، كما يجب أن يكون المنهج جذاباً قائماً على الواقع الحى مشجعاً للابتكار .

وعرض باحث آخر فصل الاتجاهات الحديثة فى علاج الشذوذ عند الأطفال ولخص الطرق العملية فى جدول شامل يرسم العوامل المختلفة المؤثرة فى سلوك الأطفال وكيفية انقاذهم وحمايتهم وتوجيههم . ومما نريد أن نلفت النظر إليه ضرورة تعاون طبيب كل مدرسة مع المدرس والأهل والزائر أو الزائرة الاجتماعية وسيكولوجى المدرسة . وإذا أردنا أن نقتطف اقتراحاً واحداً من هذا الكتاب النفيس هو أن تعمل حكومات الدول العربية على إنشاء عيادات متكاملة فى جميع المدارس تضم الطبيب والسيكولوجى والزائر الاجتماعى لكى نعالج إنسانية الطفل بأكملها نفساً وجسداً .

أ . سه

الاختبار التجريبي لعقلية الطفل ونفسيته تأليف الدكتوره ماد يلين فيوليه كونيل والأستاذة نيللا كانيفيه — باريس ١٩٤٦ — ٤٤١ ص .

L'Exploration Expérimentale de la Mentalité Infantile. Par Madeleine Violet-Conil et Nella Canivet. Presses Univ. de France. Paris 1946. Pp. 441

كتاب عظيم الفائدة من الوجهة النظرية ومن الوجهة العملية . اشترك فى تأليفه طبيبة وسيكولوجية حاصلة على دبلوم معهد التوجيه المهنى بباريس وعالمة فى علم النفس حاصلة على دبلوم معهد جان جاك روسو فى جنيفا ، اشتركتا لكتابة كتاب يمكن قارئه من أن يفهم الطفل نفساً وجسداً ، عقلا ومزاجاً ، فى الأسرة والمدرسة والمجتمع ، فى سكناته وحركاته ، فى يقظته ونومه ، فى سيره نحو التكامل . حقاً إن فرنسا لا تزال الأمة التى أنجبت إيتار وسيجان وبينيه وكانوا كلهم أطباء وكانوا من مؤسسى الطرق الحديثة فى علم نفس الطفل وكيفية رعايته وتنشئته سواء كان سوياً أو شاذاً .

التدريب العملى بدون أساس نظرى متين يؤدى أحياناً إلى عكس النتيجة المرجوة ، وبأن التربية عملية تكاملية فلا بد أن يكون إعداد المدرس إعداداً تكاملياً وهذا الكتاب الذى نعرض له مثال طيب لضرورة تطبيق المنهج التكاملى بطريقة واعية منظمة مقصودة فى دراسة الإنسان وخاصة فى دراسة الطفل . وبما أن هـذا الكتاب زاخر بالمعلومات والتطبيقات فى كل فصل من فصوله مما يجعل تلخيصه أمراً محالا سنكتفى بذكر فصول الكتاب وما يحويه كل فصل من موضوعات ، ويلاحظ أن كل موضوع معالج فى فصلين أولهما نظرى والثانى عملى .

المقدمة : — معلومات عامة — نمو الشخصية — حالات الشذوذ — مراحل الفحص — الاختبارات ، طبيعتها ومنهجها — نموذج الفحص حسب السن من الولادة حتى المراهقة . الفصل الأول — المورفولوجيا أو دراسة الجسم من حيث الشكل والتركيب التشريحى — (دراسة نظرية) : الأمزجة — النظريات الحديثة فى علم النماذج البيولوجية bio-typologie — معلومات أولية فى علم الأجنة — الجبلات constitution الأربع حسب الدكتور مارتينى — الجهاز العصبى السمبثاوى — الغدد الصم — الأشكال المرضية .

الفصل الثانى المورفولوجيا (دراسة عملية) : قياس الخصائص الجسمية — البروفيل المورفولوجى — القامة والوزن — بناء الجسم — التنفس — الدورة الدموية — الوظيفة العضلية .

الفصل الثالث — القدرات الحسية (دراسة نظرية) : اللغة ، نموها ، صلتها بالوظيفة الرمزية ، الشروط الحسية للوظيفة اللفظية ، أمراض اللغة — البصر : قياس الشدات الضوئية ، وظائف العين ، الأفعال المنعكسة الممهدة للإبصار — وظيفة الشبكية والعدسة ، الإبصار بالعينين معاً ، الأشكال المرضية — السمع واضطراباته — الحساسية اللمسية واضطراباتها .

الفصل الرابع — القدرات الحسية (دراسة عملية) : اللغة ، اختيار الاختبارات وتحليلها ، اختبار ترمان واختبار ديكودر للغة — البصر : اختيار الاختبارات وتحليلها ، قياس حدة البصر ، دراسة النصوع ، كشف اضطرابات إبصار الألوان ، دراسة التشبع ، دراسة مجال البصر ، قياس انعكاس الضوء ، دراسة الإبصار بالعينين — السمع ، الاختبارات ، قياس حدة السمع ، الاتزان ، القدرات الموسيقية — الحساسية اللمسية ، قياس مختلف الحساسيات اللمسية ، المنهج الإكلينيكى .

الفصل الخامس — الحركة (دراسة نظرية) : العضلة ، المراكز العصبية ، متى تبدأ الأعصاب تعمل ، التكامل العصبى ، قوانين النمو الحركى ، الأعراض المرضية الحركية فى الطفولة ، اللعب ، فسيولوجية الحركة ودراسة الأفعال المنعكسة — أمراض النشاط الحركى .

الفصل السادس — الحركة (دراسة عملية) : تحليل الوحدة الوظيفية — اختيار الاختبارات — سلم الاختبارات الحركية لسن الرضاعة — اختبارات أوزرتسكى للحركة والاتزان والتآزر الحركى — اختبارات ولتر .

بهذه الفصول الستة تتم دراسات الأسس الفسيولوجية للسلوك . ويلاحظ أن المؤلفتين درستا اللغة فى هذه المرحلة لأن نمو القدرة اللغوية الكلامية مرتبط ارتباط وثيق بشروط فسيولوجية معينة وخاصة نضوج بعض المناطق العصبية فى الدماغ وقد اتضحت للعلماء الصلة القائمة بين القدرة على التعبير اللفظى والقدرة على المشى . وفى بقية فصول الكتاب التى تتناول دراسة الذكاء ودراسة الشخصية سنجد باستمرار تداخل العوامل الفسيولوجية والعوامل العقلية سواء فى مجال المهارات الميكانيكية أو المهارات العقلية أو تكوين الشخصية الموضوعية كما يمكن أن تدرس بالملاحظة الخارجية

فالفصل السابع يتناول فى أربعين صفحة دراسة الذكاء والنمو العقلى وتفاعل الوظائف العقلية بعضها ببعض . ونرى فى هذا الفصل إشارة خاصة إلى نظرية العالم الانجليزى جاكسون فى عملية التكامل العصبي وكيف يمكن تعميم هذه النظرية لفهم نموكل وظيفة حية وتفككها بأثر المرض . ثم يعرض الفصل لأطوار العملية العقلية مشيراً إلى الدور الذى يقوم به كل من التذكر والتخيل والحكم والانتباه . أما الجزء الأخير فهو مخصص لدراسة شذوذ النمو العقلى من توقف أو تأخر أو ضعف .

ثم يعود الكتاب فى الفصل الثامن إلى دراسة الذكاء من الوجهة العملية متحدثاً عن أهم اختبارات الذكاء والذاكرة والانتباه : اختبارات ترمان ، بيرون ، ميلى ، جريس أرثر .

ويتناول الفصلان التاسع والعاشر دراسة مختلف القدرات من الوجهتين النظرية والعملية : صلة العمل بالقدرات — القدرات الحركية — ملاءمة الإنسان لوظيفته التدريب والاختيار المهنى . ويستعرض الفصل التاسع أهم الاختبارات الميكانيكية والمهنية المختلفة من صناعة وتجارة ، كما يعرض لوسائل إختبار القراءة والإملاء والحساب والخط الخ . . .

ودراسة الخلق أو الشخصية الموضوعية تستغرق الجزء الثالث من الكتاب . فيعرض لنا الفصل الحادى عشر النظريات المختلفة للنمو الوجدانى والانفعالى : فالون ، بياجيه ، فرويد ، بيشون ، أدلر ، اتشاخوتين ، ألندى ، كريتشمير . ومن النماذج المرضية الإكلينيكية : المتأخر الوجدانى ، الشديد الانفعالية ، جنون الكذب ، البارانويا ، حالات الفساد الغريزى .

أما دراسة الشخصية من الوجهة العملية فهى معروضة فى الفصل الثانى عشر : طرق اختبار الشخصية — التشخيص بواسطة الرسم ، بواسطة تكميل القصص[1] ، اختبار رورشاخ ، الاستخبارات أو مجموعات الأسئلة .

وينتهى الكتاب بعرض بعض الحالات الإكلينيكية كنماذج لدراسة الحالات فى العيادات الطبية السيكلوجية وذلك بعد تفصيل القول فى فصلين مستقلين فى عملية بحث الحالات طبياً وسيكولوجياً واجتماعياً .

* * *

(١) أنظر فى هذا العدد مقال اسحق رمزى عن اختبار فهم الموضوع وفى عدد أكتوبر ١٩٤٦ مقاله عن اختبار رورشاخ .

وتنقسم خاتمة هذا المؤلف النفيس إلى قسمين : يتحدث القسم الأول عن كيفية تنظيم العيادة السيكولوجية فى المدرسة وتنظيم مركز التوجيه المهنى ولا يتسع المقام للتحدث الآن عن أهمية هاتين المنشأتين وسنعود إلى هذا الموضوع الحيوى لنعالجه بالتفصيل لأننا نعتقد أن كل ما تبذله الدولة فى إصلاح التعليم وتنظيم العمل يضيع معظمه بدون جدوى مادامت المدرسة عاجزة عن معالجة نواحى النقص والانحراف فى التلاميذ المشكلين وما دام توزيع العمل متروك للصدف وللمحاولات العمياء غير الموجهة .

صلة علم النفس بالفلسفة — : أما القسم الثانى من الخاتمة وهو لا يستغرق سوى ثلاث صفحات فانه جدير بأن يستوقفنا طويلا . تتسائل المؤلفتان ما إذا كان تشييد المنهج الطبى السيكولوجى وتطبيقه يسمحان بأن نستخلص منهما توجيهات فلسفية ، أو بعبارة أخرى ، فكرة عامة عن الإنسان . هل يتسنى لنا بعد تحليل الشخصية إعادة تأليفها وتوحيد دلالتها ؟ ولا يمكن أن تكون هذه الدلالة مجرد دلالة تجريبية حسية ، لأن التجربة الحسية لا يمكن أن تكون مصدر الوحدة عند ما نكون بصدد طبيعة الإنسان . إذ أن مهمة علم النفس القصوى ليست أن يعين لنا منحنى الحفظ والنسيان مثلا أو قوانين إدراك المرئيات بل أن يفسر لنا كيف أن ذكريات إنسان ما يمكن أن يقول عنها إنها ذكرياته هو ، وأنه هو هو فى سنى طفولته وفى الوقت الراهن الذى يسترجع فيه ذكريات الطفولة ، أو بعبارة أخرى كيف يدوم الشعور بالذاتية على الرغم من التغيرات التى تمر بها الذات . إنه من طبيعة العقل الإنسانى حقاً أن ينزع إلى توحيد معلوماته ، بل توحيد علومه فى علم واحد ينتهج منهجاً واحداً . ولكن بأى حق ندعى أن العلوم الفيزيقية مثلا هى نموذج العلم على الإطلاق (١) وبأى حق نقرر أن جميع الوقائع لابد وأن تنتظم كلها فى دائرة واحدة وفى مستوى واحد . ولماذا لا يكون علم النفس بما يمتاز به من خصائص موضوعه نموذجاً لجميع العلوم إذ أنه أكثرها تعقداً ويجب أن يكون الأكثر تعقداً هو النموذج وإلا إذا هبطنا به إلى ما هو دونه لجردناه من لبه وجوهره . وعلم النفس — الذى لا يمكنه إنكار الفكر وإلا أصبح والفسيولوجيا شيئاً واحداً — يمتاز بموقف فريد بين جميع العلوم الأخرى إذ يتضمن فى الوقت نفسه موضوع البحث ووسيلة بحثه ، أى أن العقل الذى ندرسه لا

(١) نرجو الرجوع إلى المقدمة التى صدرنا بها الترجمة العربية لكتاب كلودبرنار : مدخل إلى دراسة الطب التجريبى . المطبعة الأميرية ١٩٤٥ .

يمكن دراسته إلا بالعقل عينه . فقد يبدو لبعض أنصاف العلماء أو لبعض المتحمسين للعلم الذى يقرأونه مشوهاً فى المجلات الشعبية ، يبدو أنهم نسوا الدرس الذى لقنه سقراط للإنسانية منذ خمسة وعشرين قرناً والذى لا تزال ضياؤه تشع فى الطبقات السامية من التفكير حيث يتسنى للمفكر المتواضع أن يلقى نظرة شاملة ، بقدر ما تسمح به الطاقة البشرية ، على الوجود بأكمله .

ونحن لا يعترينا العجب ولا نقرر أن الكتاب الذى نحن بصدده ليس كتاباً فى علم النفس ، عند ما نرى مؤلفتيه تبحثان ، لا عما يؤدى به البحث الطبى السيكولوجى إلى اعتبارات فلسفية فحسب — فهذا شأن جميع العلوم — بل تبحثان عما تتضمنه كل خطوة يخطوها علم النفس من أصل فلسفى محض ، لا تقوم بدونه كل خطوة من الخطوات لأنه فى الواقع هو الرابط الأصيل الذى يجعل من تلك الخطوات وحدة متكاملة . فالخطوات من حيث هى مضمومة بعضها إلى بعض من الخارج تكوّن الفرد ولكنها تكوّن الذات أو الشخص من حيث هى وجهات نظر لحقيقة ديناميكية واحدة وموحدة منذ الخطوة الأولى ، لا لأنها الأصل المشترك بين كل ما يصدر عنها ، بل لأنها تتضمن الغاية القصوى التى تنتظم كل ما يصدر عنها وتوجهه .

سيدهش الذين انتحلوا أبواق العلم ليقرروا عالياً أن علم النفس انفصل عن الفلسفة وأنه أصبح علماً كعلم الطبيعة والكيمياء إذا قيل لهم إنه لا توجد مدرسة واحدة فى علم النفس — ووجود مدارس متعددة ومتنافرة فى علم النفس أمر واقع — إلا وتكون فى الوقت عينه مدرسة فلسفية . أما من يدعى غير ذلك فانه بعيد عن العلم وعن الفلسفة معاً ، لا يفقه معنى العلم ولا معنى الفلسفة . فانه من سخف القول أن يسأل المرء ما إذا كان علم النفس علماً أو فلسفة أو بين بين ، ويزداد سخف هذا القول وضوحاً إذا اكتفى المرء بقراءة كتاب واحد هو الكتاب الذى نشره مرشيسون عن تاريخ علم النفس خلال تأريخ علماء النفس المبرزين فى القرن العشرين لآرائهم العلمية(١)

وعدد هؤلاء العلماء ثلاثة وأربعون . فان المغزى الوحيد الذى يفرضه علينا وجود المدارس المتعددة فى علم النفس ، ليس عدم تقدم هذا العلم (٢) ، بل عدم

---

(١) A History of Psychology in Autobiography. Edited by Carl Murchison vol. I, 1930 ; II 1932. Vol. III 1936,

(٢) يقرر كوهلر فى كتابه « النواحى الديناميكية فى الظواهر النفسية » أن أضيق مجال للاكتشافات العلمية هو مجال علم النفس .

إمكان بناء علم للسلوك الإنسانى بدون مسلمات فلسفية أولية ، سواء كانت هذه المسلمات مصرحاً بها أو لا . فاذا كان عالم النفس عند مايشيد صرح علمه لابد له أن يتفلسف فخير له أن يتفلسف وهو مدرك أنه يتفلسف . فانكار الاتصال العميق الذى يربط فى الصميم علم النفس بالفلسفة هو بدوره ضرب فى الفلسفة غير أنها فلسفة ساذجة يمكن الاتجار بها فى الأسواق كما كان يصنع السفسطائيون وكما يصنع اليوم تلامذتهم ، ولكنها عاجزة عن أن ترتقى إلى الدرجات الأولى المؤدية إلى معبد الحقيقة .

ى . م .

طب النفس

تأليف الدكتور محمد كمال قاسم ، بكالوريوس فى الطب والجراحة وأمراض النساء ، دبلوم التخصص فى الأمراض العصبية والنفسية والعقلية ، عضو الجمعية الملكية لأطباء الأمراض النفسية والعقلية بلندن مصر ١٩٤٦ — ٣٤٨ ص .

أخذت هذه المجلة نفسها على ألا تعرض لغير الكتب العلمية . والكتاب الذى نعرض له اليوم له فى ظاهر الأمر طابع الكتاب العلمى ، فالعنوان الذى اختير له « طب النفس » ، ومؤلفه أو كاتبه طبيب عنده فوق الدرجة الطبية العامة دبلوم التخصص فى الأمراض العصبية والنفسية والعقلية . ثم أنه حريص على أن يذكر مع مؤهلاته عضوية « الجمعية الملكية لأطباء الأمراض النفسية والعقلية بلندن » وكأن هذه العضوية مما يجوز أن يكون من المؤهلات وما هى كذلك ، فما نذكر أن نظرنا وقع عليها مرة واحدة ضمن مؤهلات التخصص أو غير التخصص للمؤلفين الانجليز وغيرهم على وفرة ما قرأنا لهم . فحرص المولف على أن يذكر هذه العضوية مع مؤهلاته العلمية فى صدر الكتاب أولا ثم فى الاعلانات المتكررة التى نشرت عنه بعد ذلك أمر يدعو إلى الانتباه بادئ ذى بدء ، وهو انتباه سيجد ما يبرره عند الخوض فى موضوع الكتاب .

وطب النفس موضوع ضخم ، والاضطلاع بالكتابة فيه تبعة علمية كبرى لا نعرف فيمن أقدم عليها إلا علماء ممن قضوا العمر أو جانباً كبيراً منه فى دراسة النفس البشرية وسبر أغوارها واستقصاء مكنوناتها ، ثم قل منهم من استطاع بعد ذلك الاضطلاع بتبعاتها جميعاً ، فأين المؤلف من شىء من هذا ؟ المؤلف أحد أعضاء الهيئة الطبية بمصلحة السجون ، ودراسة التخصص فى الأمراض العصبية والنفسية

والعقلية بدأها منذ نيف وثلاث سنوات واستغرقت منه سنة ونصف السنة ، فالخبرة التي قام عليها هذا الكتاب الضخم بعنوانه لا يمكن أن تكون إلا متواضعة ومسرفة فى التواضع كما وكيفا ، ولقد يكون مفهوماً بعض الشيء لو أن المؤلف ولى وجهه شطر الجريمة يبحثها ويستقصيها ويحاول أن يكشف عن جانب من العوامل الدفينة فيها . والبحوث النفسية فى الجريمة تطرد عمقاً واتساعاً وتخطو بخطى موفقة نحو تعرف النفس البشرية والكشف عنها ، ولكنه لم يفعل ، وآثر أن يكتب فى طب النفس على اطلاقه .

فاذا لم يكن الأمر مع المؤلف أنه ركب شططاً فى الاضطلاع بتبعة علمية ينوء بها ويتعثر دونها ويبهظه القيام بأعبائها فى حدود الدقة والأمانة العلمية ، فلا بد أن لكلمة الطب النفسى مدلولا خاصاً عنده يختلف عن المدلول الذى نفهمه ويفهمه جمهرة المشتغلين بالعلوم النفسية .

وسنرى أى الاحتمالين أكثر انطباقاً على الكتاب وصاحبه عند ما ننتقل من هذه الملاحظات الشكلية إلى موضوع الكتاب .

* * *

تثير قراءة هذا الكتاب فى نفس القارىء ، أول ما تثير ، شعوراً مريراً بالخيبة لا يلبث أن يستحيل إلى سخط واستياء وإنكار ، فان القارىء الذى استهاله عنوان الكتاب فحسب أنه سيلقى فيه بحثاً علمياً دقيقاً عن النفس فى صحتها واعتلالها لن يلبث أن يرى نفسه إزاء مجموعة مشوهة من « الآراء » الفجة غير الناضجة التى جمعها صاحبها على الترخص والخطأ ، وعرضها بصورة مشوشة مبتسرة فجاءت تجافيها الروح العلمية وتتخللها الركاكة وتشيع فيها الأحكام الواعثة المضطربة .

وسيعجب القارئ ، وسيحنق ، مراراً وهو يتأمل تفاهة السند الثقافى العام الذى قام عليه الكتاب . وسيتابعه هذا العجب وهذا الحنق وهو ينتقل بين صفحات الكتاب وعباراته ، محاولا عبثاً أن يكتشف له موضوعاً أو منهجاً أو هدفاً بالمعنى العلمى المعروف لهذه العبارات ، وسيسأل نفسه دهشاً : أى استبصار هذا الذى دفع بالمؤلف إلى أن يفضح نفسه على هذا النحو الطائش ؟ أما كان الأخلق به ، وهذا قصاراه ، أن يظل حيث هو فى دعته وأمنه بدلا من النزول إلى هذا الميدان المكشوف حيث يشق الحساب ولا يجدى الاحتماء وراء المؤهلات والألقاب ؟

اننا من الذين يؤمنون بأن النقد بناء لا هدم ، وأن من واجب الناقد المنصف أن يشيد بالحسنة قبل أن يذكر السيئة ، ولكن ما حيلتنا فى كتاب لم نستطع أن نلقى

فيه موضعاً واحداً للتنويه والإشارة إلى جانب ما فيه من مواضع لا حصر لها للمراجعة والنقـــد .

وليس فيما نقول تجن أو إسراف ، فحيثما أجلنا البصر فى الكتاب اصطدمنا بتفاهة أو ركاكة أو خطأ . ولعل هذه هى ميزته الوحيدة : أنه لا يتعب الناقد فى الكشف عن محاسنه أو عيوبه . المحاسن لا وجود لها ، والعيوب لا حصر لها ، وهذه بالاختصار هى السمة المميزة للكتاب .

وحسبنا فى التدليل على القيمة « العلمية » للكتاب أن نبسط للقارىء طائفة من الأمثلة المستمدة منه ، لم يقتضينا جمعها جهداً ولم نراع فيها اختياراً ، فما بنا من حاجة إلى الجهد أو الاختيار ، ولكنما هى نماذج مأخوذة « عفو صفحتها » لعلنا لا نجد خيراً منها فى تصوير الكاتب والكتاب . وليست هذه النماذج كل ما فى الكتاب ، إنما هى للتمثيل لا للحصر ، وإلا فلو أرسلنا أنفسنا فى تعقب مواطن التفاهة والخطأ جميعاً لوقع علينا أن ننقل الكتاب من جديد .

ذكر المؤلف ، وهو يعرض لأسباب المرض النفسى فيما أسماه « انحراف النشأة » ما يأتى « . . . وبالجملة يبدو ، إذا لوحظ منذ صغره ملاحظة دقيقة ، أن به شذوذاً أو قصراً لا يوجدان فيمن تكون نشأته طبيعية حتى لقد أجمع كثير من الباحثين على أنه يمكن بفحص طفل ما ومراقبة سلوكه الجزم عما إذا كان سيصاب بمرض نفسى فى مقتبل عمره أم لا » (ص ٢٤) ، وندع الخطأ وركاكة التعبير فى هذه العبارة القصيرة جانباً ، ونسأل المؤلف أن يدلنا على أحد هؤلاء الباحثين الذين أجمع كثير منهم على الجزم عما إذا كان الطفل سيصاب بمرض نفسى فى مقتبل عمره أم لا . نسأله ونعفيه من الأجابة فما نريد له الحرج ، ونحن نعلم أن السكوت على مثل هذا السؤال هو أسلم ما يستطاع من جواب .

وقال مواصلا بحثه فى أسباب الإصابة بالأمراض النفسية تحت عنوان « شذوذ التكوين » ما يأتى بالحرف الواحد « يعتبر البعض أن الشخص الشاذ التكوين معرض أكثر من غيره للإصابة بمرض نفسى . فالشخص الذى نشأ ضعيف التكوين ، معتل الصحة ، شاعراً أنه دون غيره صحة ، معرض لمرض الهستيريا مثلا ، والشخص القبيح المنظر ، المشوه الوجه ، قد يصاب بحالة اضطراب قلق ، وما شابه ذلك . وتكاد الآراء تكون مجمعة على أن شذوذ التكوين له علاقة كبيرة بالإصابة بالمرض النفسى ، إلا أنه قد ثبت أن علاقته قاصرة على الإصابة بالأمراض العقلية ، وهى

فى ذلك واضحة جلية . أما علاقته بالأولى فقد يصعب التثبت من وجودها ، وقد لا يظهر أى فارق فى التكوين بين من يصابون بالأمراض النفسية وغيرهم . . . » (ص ٢٧) . ونحن نرجو أن نلقى انساناً واحداً يستطيع أن يفهم مدلولا مفيداً لهذا الكلام الذى لا نستطيع أن نرى فيه غير التفكك والركاكة والتجرد من المعنى العلمى . وهو بعد ذلك مثال صادق لما يتميز به الكتاب من الجمع بين الخطأ والابتذال والتخبط والسطحية وتفاهة السند الثقافى .

وتابع المؤلف بحثه العجيب فى أسباب الإصابة بالأمراض النفسية فقال تحت عنوان « عدم الإشباع الجنسى » ما يأتى « يعتبر عدم الإشباع الجنسى فى مقدمة الأسباب التى تهيئ صاحبها للإصابة بالأمراض النفسية ، بل لقد جعله بعضهم السبب الرئيسى وعزا إليه كل إصابه بمرض نفسى . وزعيم أصحاب هذا المذهب فى الرأى هو العلامة « فرويد » صاحب نظرية « الجنسية الشاملة الكلية » (Pansexualism) التى سيأتى شرحها شرحاً وافياً فى بحث الآراء النظرية فيما بعد . . . . »[1] (ص ٣٤) . ونحن نسأل المؤلف ، نسأله كارهين : ترى ماذا يقول العوام وأشباه العوام لو أن واحداً منهم ركب رأسه وبدا له أن يكتب عن فرويد ؟ أكان يستطيع أن يوفق إلى مثل ما وفق إليه المؤلف فى تشويه آراء الرجل ومسخها والتهجم عليها وعرضها بمثل هذه الصورة العامية المستهجنة ؟

ويرى المؤلف أن واجب الإنصاف يقتضيه ألا يعرض لاحدى المدارس السيكولوجية دون الأخريات ، فبعد أن فرغ من المدرسة الفرويدية مسخاً وتشويهاً انتقل إلى المدرسة التحليلية ليونج فاتم مهمته فيها فى خمس صفحات ، ولم ينس أن يذكر لنا أن المنبسط Extrovert — وهو ما أسماه « محب للمخالطة » — إنسان « ينظر إلى الحياة نظرة عامة قوامها إنكار الذات والتفانى فى خدمة المجتمع والعمل على ما فيه الخير للجميع » (ص ٦٧) . وما عليه من بأس فيما يقول ، فمن ذا الذى يجرؤ على مناقشته الحساب وهو الاخصائى « المعروف » تارة « والمسئول » تارة أخرى ، الذى جاء كتابه لينشر العلم والمعرفة ويتحدى الدجل والشعوذة .

ويمضى المؤلف متحدثاً عن بقية المدارس السيكولوجية الأخرى فى سطحية

---

(١) استغرق هذا « الشرح الوافى » لنظرية فرويد ، وما عده المؤلف مناقشة لها وتعقيبا عليها ، ثمان صفحات ونصف أو ١٨٧ سطرا من الكتاب . وهذا مثال فريد ، ولكنه ليس بالمثال الوحيد ، لمدى تقدير المؤلف لتبعاته العلمية فى هذا العمل الذى اجترأ عليه .

مبتذلة وأسلوب ركيك . وإنه ليجمع فى حديثه بين الإيجاز المخل والخطأ الفضاح ، حتى يصل بنا إلى ما أسماه « علم النفس التكاملى » Pattern Psychology ، فاذا به يسمعنا للمرة الأولى فى حياتنا العلمية عن عالم ألمانى اسمه « جستالت » Gestalt قال المؤلف « ولقد أيدت هذا الرأى أبحاث الكثيرين من علماء النفس أخصهم العالم الألمانى جستالت Gestalt ... الخ » (ص ٨٣) . فهل بعد هذا إمعان فى الاستهتار والتهجم على العلم : أن يقدم إنسان على التأليف العلمى وهو معطل من السند الثقافى العام ، ومعطل من المبادئ الأولية للعلم الذى يكتب فيه ، ومعطل من المراجع التى ينهل منها ويستند إليها . حسب الكتاب هذه السقطة وحدها لتخرج به من ميدان التأليف العلمى إلى النشرات الرخيصة التافهة ، وحسب المؤلف إياها لتقرر مكانه بين الذين يكتبون عن معرفة وروية واطلاع أو عن جهل وغرور وادعاء

وينتقل المؤلف إلى معالجة موضوع « الأحلام » فيتناولها بنفس الخفة والركاكة والسطحية التى تسم الكتاب بسمة الابتذال وتخرجه من دائرة التأليف العلمى الرصين .

ويمضى على هذا النحو نفسه متحدثاً عن أنواع الأمراض النفسية ، فيشير إلى حالات القلق والهستريا والاضطراب الوسواسى التسلطى والنوراستانيا ، وينقل ، بصورة مشوهة ، المحاضرات التى استمع إليها أثناء التحضير لدبلوم الطب النفسى[1] ثم يلحق كل نوع منها بطائفة من الحالات التى عرضت له فيما يزعم أنه إيضاح للعمليات النفسية المرضية فيها . وسنعرض لهذه الحالات عما قليل ، فلولا أن المقام مقام جد وتزمت لكانت الأعاجيب الواردة فيها معيناً لا ينضب للتندر والسخرية .

ثم يعرج المؤلف على ما سماه « بعض اتجاهات سلوكية شاذة » ، فيلمح فى سطور إلى الكبر والغضب والبخل والإسراف والتشاؤم والكذب والسرقة الخ . . . ويذكر هذه الصفات فى عبارات هى أشبه بما كنا نقرأه فى كتب التهذيب والأخلاق منذ حوالى ثلاثين سنة . وهذا هو ما أشار إليه المؤلف بعد ذلك عند الإعلان عن كتابه فى قوله إنه « دراسة وافية لجميع الأمراض النفسية والحالات السلوكية الشاذة » (جريدة الأهرام فى ١٤ — ١٠ — ٤٦) . ولسنا فى حاجة إلى التعقيب على رأى المؤلف فى هذه الحالات ، فلم يخرج ما قاله فيها عما تجرى به الروايات العامية المألوفة فى مثل هذه المناسبات ، مع إقحام بعض الألفاظ والعبارات ذات الرنين

(١) استباح المؤلف لنفسه النقل من هذه المحاضرات نقلا مسرفا ، ومشوها ، فى أكثر من موضع من الكتاب دون الاشارة إلى ذلك .

السيكولوجى هنا وهناك . ولم تبد من المؤلف أية محاولة جدية إلى استقصائها وتحليلها ، فانى له الإلمام بالدقائق والتفصيلات ، وأين منه الجهد على الإحاطة والتعمق ؟

ويختم المؤلف كتابه بما سماه « علاج النفس » . وقد تحدث فى الجزء الخاص بالإيحاء عن الوسائل التى يلجأ إليها الدجالون والمشعوذون ، وحسناً فعل . ثم أعقب ذلك بالخلط بين العلاج والتحليل النفسى ، وهو خلط مفهوم من العامة ، ولكنه غير مفهوم ولا مغتفر إذا جاء من « طبيب اخصائى مسئول » . وقد أطلق العبارة الأخيرة على كثير من وسائط العلاج النفسى ، فى حين أن الدوائر العلمية اجتمعت منذ سنوات على قصر عبارة « التحليل النفسى » على الطريقة الفرويدية دون غيرها فى دراسة النفس البشرية والكشف عن اللاشعور . ثم بعد هذا كله وجد المؤلف من نفسه الجرأة لكى يقول عما كتبه تحت عنوان « التحليل النفسى وطرقه » إنه « وصف تام عملى لجميع طرق العلاج النفسى وأنواعه » (الاهرام فى ١٤ — ١٠ — ٤٦) ويفتضح مدى فهم المؤلف لمدلول عباراته أو مدى احترامه إياها إذا عرفنا أن هذا « الوصف التام العملى » يعنى عنده ثلاث صفحات أو ٦٥ سطراً لطريقة فرويد ، وأربعة سطور لطريقة يونج ، وسبعة سطور لطريقة أدلر ، وستة سطور لطريقة أدولف ماير وهكذا (ص ٣٢٥ — ٣٣٠) .

* * *

فى الكتاب ٢٩ حالة ساقها المؤلف فيما يزعم لإيضاح العمليات النفسية المرضية التى تؤدى إلى العصاب (أو المرض النفسى) . وما رجونا ونحن نقرأ هذه الحالات أن نقع على ما يشبه التحليل المتعمق لأصول العلة أو الكشف الدقيق عن عملياتها النفسية المرضية . ولكنا كنا نرجو على الأقل أن نقرأ تحليلا ذكياً ، وإن كان سطحياً للحالة يربط أعراضها إلى ما يعرف فى ميدان الطب النفسى ، بل فى الدائرة الثقافية العامة ، من أسباب ومعلولات . كنا نرجو أن يذكر لنا المؤلف كيف عالج حالاته ، وكيف وصل فيها إلى النتائج الطيبة التى يقول إنه حققها ، كنا نرجو من المؤلف أن يشرح لنا ما هو « ميكانيزم » المرض ، وما هو ميكانيزم الشفاء ، ولكنه لم يفعل شيئاً وأنى له أن يفعل ؟

ولسنا بمحاولين التعقيب على كل حالة على حدة ، فكلها فى الهيكل العام سواء : مريض (أو مريضة) جاءه يشكو من أعراض معينة ، فيفحصه فحصاً جسمياً دقيقاً ليتحقق من أن أساس العلة فى عقلية المريض ، وبأسئلة « لبقة »

يستطيع المؤلف الفاضل أن يستشف العوامل التى أدت به إلى المرض وأن يتبين أثرها فى العوارض التى يشكو منها ، وهى لا تخرج فى نظره عما يسميه انحراف النشأة وعدم الإشباع الجنسى وكبت الرغبات ومواجهة المشكلات الحالية والإجهاد وغير ذلك من العبارات المبهمة الرنانة التى قد ترضى الجمهور والعامة ولكنها لا تعنى شيئاً كريماً لدى الخاصة ولا تثير فى نفوسهم غير السخط والإنكار .

أما العلاج فأمره لا يقل نكراً وعجباً . العلاج فى بعض الحالات التى ساقها كان ينحصر فى أن يقنع المريض بما يظنه سبباً لمرضه ، وهذا الاقتناع كفيل بأن يصل بالمريض إلى الشفاء وأن « ينعم بعيشة سعيدة موفقة » . وفى حالات أخرى يعتقد المؤلف أن الشفاء فى الإيحاء فنراه يشير على إحدى مرضاه بحقن « ولكن من نوع غريب لم تسمع عنه مطلقاً » ، وعلى الرغم من اعتقاد المؤلف بأن نوبات المرض سوف تعاودها ثانياً (ص ٢٠٤) فلم يخطر له أن العلاج الذى يرجى نفعه هو التحليل لا الإيحاء على هذا النحو المبتذل الرخيص .

وهناك أيضاً حالة المريضة التى كانت تشكو من تقلصات بالقصبة الهوائية فأوحى المؤلف إليها « أن حالتها بسيطة وأنها ستشفى بسهولة وأن علاجها سيكون بحقن ستحضر خصيصاً فى أحد المعامل » . وكانت هذه الحقن محلول ملح عادى نزع منها الاتيكيت الخاص بها ووضعها فى علبة أخرى حتى تظهر كأنها حضرت فعلا فى معمل خاص (ص ٢٠٧) ، وهذا — يا للخجل — قصارى المؤلف فى فهم المرض النفسى وعلاجه .

على أن استعمال المؤلف لما يسميه الإيحاء بلغ غاية التدهور والابتذال فى حالة المريضة التى أصيبت بفقد النطق بعد عراك قام بينها وبين جارة لها . فلم ير المؤلف بدأ من أن يعطى مريضته قليلا من البنج ويجرى لها فتحة سطحية طفيفة قفلها بغرزتين لكى يحكم إيحاءه بأنه قام بعملية جراحية فيها وحدها ضمان الشفاء للمريضة (ص ٢١١ — ٢١٣) . ونحن نسأل أنفسنا بعد ذلك ، ونسأل الذين يعنيهم أن تظل الممارسة الطبية فوق الترخص والابتذال : أهذا مما تجيزه الآداب الطبية ؟ وحتى على فرض صحة النتائج التى يقول بها المؤلف ، ألا يوجد حد للمباح وغير المباح فى هذه المهنة التى شقيت بأبنائها والدخلاء عليها على حد سواء ؟ ثم نتوجه إلى المؤلف العلامة بسؤال أخير لعل فيه فصل الخطاب : لم نحارب الدجل والشعوذة فى ميدان الطب النفسى ، ولم نحرم الزار وعمل السحر وحرق البخور واستحضار الجان ،

ولجميعها فى بعض الحالات أثر إيحائى « ناجع » لا نحسبه يختلف كثيراً عن أثر الوسائط التى يعلنها مزهواً مؤلفنا الطبيب ؟

* * *

ولا أختم هذا العرض النقدى للكتاب قبل أن أضع أمام القارئ طائفة من المصطلحات العلمية المترجمة الواردة به ، وسيرى القارئ ، فضلا عن ركاكة الترجمة ، شططاً فى الفهم وخروجاً بها عن المعنى المراد لها ، وعجزاً تعساً عن الاضطلاع بتبعة علمية ينوء المؤلف بها ويتعثر لاهثاً دونها .

مذهب التبصر Persuasion ص ٤٩ ، ٢٣٢ ، ٣٢٠ . وصحتها « الإقناع »

مشادة Conflict ص ٥٧ . وصحتها « صراع »

ثبوت Fixation ص ٦٠ ، ٦٤ . وصحتها « تثبيت »

تدهور جنسى Regression ص ٦٠، ٦٧ . وصحتها « نكوص » أو « تراجع »

طابع الرجولة Masculine Protest ص ٧٠ ، ٧٤ . وصحتها « احتجاج الذكورة »

تكافؤ أو مداراة Compensation ص ٧١ . وصحتها « تعويض »

علم النفس التكاملى Pattern Psychology ص ٨٢ . وصحتها « مذهب الجشطلت فى علم النفس » . أو مذهب الصيغة .

مسببات الحلم ومحتوياته Manifest and Latent Content ص ٩١ . وصحتها « المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن » للحلم .

التصنيف Dramatization ص ٩٧ . وصحتها « التمثيل »

التركيز Condensation ص ٩٧ . وصحتها « التكثيف »

اختلاف التقدير Displacement ص ٩٧ . وصحتها « نقل » أو « انتقال »

الدافع الجنسى Libido ص ١١٣ . وصحتها « الطاقة النفسية » أو « الطاقة الجنسية »

الهستيريا المادية Conversion Hysteria ص ١٢٢ . وصحتها « الهستيريا التحولية »

الاضطراب الوسواسى العنادى أو اضطراب الوساوس والاعتقادات الخاطئة Obsessive Compulsive Neurosis ص ١٢٣ . وصحتها « العصاب الحصرى الإجبارى » أو « العصاب الوسواسى القهرى »

عوارض إرادية Motor Symptoms ص ٧٧ . وصحتها « أعراض حركية »

التدهور الهستيرى Hysterical puerilism ص ١٩٦ . وصحتها « الطفلية الهستيرية » . ظاهرة التعلق Transference ص ٣٢٧ . وصحتها « التحويل »

* * *

وبعد فهذا هو الكتاب الذى قال صاحبه فى الإعلان عنه مفاخراً إنه يتحدى القائلين باستحضار الأرواح ومخاطبتها وغيرهم ممن رأى أن يدخلهم فى عداد الدجالين والمشعوذين . وما يرجى لكتاب « علمى » مصير أتعس من هذا المصير . ولكن أترى المؤلف استطاع أن يحقق لكتابه حتى هذه الأمنية على إسفافها وتعسها ؟

على أن المؤلف بهذا الإعلان المسف لم يقدم إلينا دليلا جديداً ، لسنا فى حاجة إليه ، على تجرده من الروح العلمية وحسب ، بل أنه جانب به مقتضيات اللياقة وجافى الذوق السليم . ولن يشفع للمؤلف أنه قصد إلى الترويج لكتابه عن طريق طرافة الإعلان فضل وجمح ، فان كرامة العلم ينبغى أن تقيم حداً فاصلا بين ما يجوز أن يقال فى التنبيه إلى التأليف العلمى الجدى وبين ما يقال فى الدعاية للكتابة المسفة الرخيصة . وما يعفى المولف عن هذه الجمحة المنكرة أن عثرات الذوق لا تدخل فى حساب الألقاب والمؤهلات .

وما يستحق هذا الكتاب فى ذاته بعضاً من هذا الجهد وهذا العناء ، فما أكثر الكتب التى تصدر فنتحيها ونمر بها كراماً ، وما أكثر الأدعياء والمشعوذين الذين يقحمون أنفسهم فيما لا يعرفون ، ولكن الأمر مع هذا الكتاب أشد خطراً ونكراً . فان مؤلفه طبيب ، وما نود أن يقع فى وهم أحد من الناس أنه يمثل « مستوى » الطب النفسى بين المشتغلين بهذا الفرع من أبناء المهنة الطبية . وإذا كان المؤلف زين إليه أنه يستطيع النزول إلى ميدان التأليف العلمى محتمياً بما عنده من ألقاب ومؤهلات ، فينبغى أن يعرف أن اللقب المهنى شىء والتأليف العلمى شىء آخر ، وما تستطيع المؤهلات والألقاب جميعاً أن تحمى صاحبها من المؤاخذة والحساب إذا اجترأ على العلم والذوق السليم بمثل ما اجترأ عليه مؤلف هذا الكتاب . والتأليف الجدى فى الطب النفسى بمصر يجتاز محنة قاسية فى هذه الأيام ، وينتهك حرمته المشعوذون والدجالون من كل حدب وصوب ، فاذا جاء المؤلف آخر الأمر بمثل هذا الكتاب متحدياً مزهواً ، فما أفدح مصاب الطب النفسى فيه ، وما أشد خجلنا أن يكون هذا هو قصارى الجهد من « طبيب إخصائى مسئول » فى فهمه والتعريف به والدعوة إليه .

صبرى جرجس

مشكلة التحليل النفسى فى مصر — تأليف محمد فتحى بك ، المستشار بمحكمة استئناف مصر سابقاً وأستاذ علم النفس الجنائى بمعهد الدراسة الجنائية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول — مصر ١٩٤٥ — ٢٢٩ ص .

يتناول هذا الكتاب العرض لمشكلة قديمة من مشكلات التحليل النفسى ، وهى مشكلة وصلت أوجها فى أوربا منذ حوالى ربع قرن ، واضطرم النزاع فيها حول من يحق له أن يزاول التحليل النفسى بوصفه ضرباً من ضروب العلاج لبعض الحالات المرضية الخاصة ، ولكنها هدأت الآن واستقر الأمر فيها ، أوكاد ، إلى رأى يخالف الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ الفاضل مؤلف الكتاب .

وقد رأى الأستاذ المؤلف ، عند ما أثيرت هذه المسألة فى مصر أخيراً لمناسبة قضية أقيمت على أحد مزاولى التحليل النفسى من غير الأطباء وانتدابه خبيراً فيها ، أن الفرصة سانحة للإدلاء برأيه فى هذه المشكلة التى احتدم الخلاف حولها زمنا غير قصير ، فوضع تقريراً مطولا ضمنه رأيه فى هذا الشأن ، ولما تم الفصل فى القضية نهائياً نشر هذا التقرير مع مقدمة تاريخية عرض فيها لمراحل تطور العلاج النفسى فى مصر من النواحى العلمية والاجتماعية والقضائية والتشريعية فى الكتاب الذى نتناوله بالنقد الآن .

ويستند الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ المؤلف من الناحية العلمية بصفة خاصة إلى تقسيم الإنسان إلى جانب جسمى وجانب نفسى يختلف أحدهما عن الآخر كل الاختلاف وليس ثمة ما يجمع بينهما ، وقد ذكر الأستاذ المؤلف هذا المعنى بصور شتى فى مواضع متعددة من الكتاب (ص ٤٧ ، ٨٩ وما بعدها ، ١٩١ الخ .) . ولكننا لا نستطيع أن نقره عليه ، فالإنسان وحدة من جسم وعقل ومجتمع ، وإذا أسغنا التحدث عن كل منها على حدة تسهيلا للوصف فاننا لا نستطيع أن نسيغ فصم هذه الوحدة إذا أردنا أن نتعمق فهم الإنسان فى حالتى الصحة والمرض على السواء ، وأن نصل إلى تقويم علته على أساس سليم . ولا يقوم علم الطب ، كما يقول الأستاذ المؤلف ، على دراسة الظواهر البدنية والعناصر العضوية التى يتألف منها جسم الإنسان والتى تخضع بطبيعتها لقوانين المادة وحسب ولكنه يقوم على دراسة جميع العوامل ، أيا كان مصدرها ، التى تؤدى إلى اختلال الوظيفة وتخرج بالمريض ، أى بالإنسان ، عن حالة السواء . ولا يعالج الطب ، حين يعالج ، عضواً أو جهازاً أو مرضاً ، ولكنه

يعالج مريضاً أى إنساناً . وقد أصبحت مهمة الطب العقلى أن يحمل هذه الرسالة السامية فى حياة الإنسان كوحدة متكاملة ، وانبعثت من هذا التوجيه السديد حركة قوية تخطو بخطى موفقة نحو النضوج والاكتمال هى حركة الطب الجسمى النفسى التى انتظمت طائفة من الأطباء من أعلام التحليل النفسى نذكر فى مقدمتهم الكسندر

ومما يستوقف الانتباه أن الأستاذ المؤلف لم يذكر الطب العقلى فى الكتاب كله بكلمة إلا حين تحدث عن إفلاس الطب (وهو ما يسميه الطب الجسمانى) فى علاج الأمراض العقلية التى ترجع إلى عوامل نفسية بحتة . ولا شك فى أن الأستاذ المؤلف يعرف أن الطب العقلى حديث العهد فى تاريخ العلوم الطبية ولكنه برغم حداثة عهده فرع مستقر من فروع الطب لا سبيل إلى فهمه وممارسته لغير الأطباء ، وأنه ينتظم كل ما يصيب الإنسان ، فى مختلف أطوار حياته ، من مظاهر الانحراف عن السواء النفسى أو العقلى . ولا نعرف فى مصلحة من أن يباح ولوج الطب النفسى ، فى أى فرع من فروعه ، دون قيد أو بقيود شكلية لغير الأطباء ، ولكنه ليس فى مصلحة المرضى على أية حال .

وقد جعل الأستاذ المؤلف من كتاب فرويد « مشكلة التحليل لغير الأطباء » السند الأساسى للرأى الذى ذهب إليه ، واقتبس من هذا الكتاب فى مواضع متعددة ، ولكن الظروف التى نشر فيها هذا الكتاب تغض من قيمته الآن كسند للرأى الذى قصد فرويد إلى الدفاع عنه يومئذ . فقد ظهر الكتاب منذ عشرين عاماً فى وقت تنكرت فيه المهنة الطبية للتحليل النفسى إلا بعض أبنائها واتخذت منه موقفاً عدائياً لا مبرر له ، وقد خشى فرويد على هذا الوليد الجديد أن تغلبه أعاصير الخصومة قبل أن يشتد ويقوى فانصرف عن المهنه الطبية بعد أن غلبه اليأس من مؤازرتها ، وكان أن نشر هذا الكتاب وفى رجائه لو أن المهنة الطبية وقفت منه ومن العلم الوليد موقف الحيدة والإنصاف ، وخاصة وأنه طبيب ، وفريق من أقرب مؤازريه من الأطباء . وقد أشار ألكسندر إلى ذلك فى صراحة لا لباس فيها وهو يعرض لمشكلة التحليل لغير الأطباء فى ص ٢١١ من كتابه « القيمة الطبية للتحليل النفسى » إذ قال « لا شك فى أن فرويد حنق حنقاً شديداً من إحجام الطب عن تقدير العمل الذى قضى فيه العمر كله » ، وفى ص ٢١٢ « إن حنق فرويد هو صدى تجربته المرة الخاصة » .

أما اليوم فقد تبدل الموقف وأقبلت المهنة الطبية على التحليل النفسى إقبالا

يعوض ما فاتها منه من قبل . وقد استقر التحليل النفسي ذاته كعلم وفن علاجى إلى ما ينبغى له من مكانة فى الطب العقلى . وفى خلال السنوات العشرين الأخيرة انتظم فى سلك التحليل المئات من الأطباء ، وساهم الكثيرون منهم فى تقدمه بما لا يستطاع إلا إذا اقترنت الثقافة التحليلية بثقافة طبية ، وأصبح من القواعد المرعية فى معاهد التحليل النفسى فى أنحاء العالم جميعاً ، وخاصة فى أمريكا التى احتضنت التحليل أثناء المحنة العالمية الأخيرة ، ألا يدرب على التحليل العلاجى إلا الأطباء . وتجلى أثر ذلك فى أسماء المحللين المعترف بهم من معاهد التحليل النفسى ، فقل من نجد منهم من غير الأطباء . وفى القائمتين اللتين ختم بهما الأستاذ المؤلف كتابه وضمنهما أسماء ٤٩ من المحللين غير الأطباء التدليل على ما نقول ، فجل أصحاب تلك الأسماء ، إن لم يكونوا كلهم ، من الذين مرنوا على التحليل العلاجى فى أيامه الأولى ، وليس فيهم من التحق به فى السنوات الأخيرة بعد أن هدأت المقاومات الانفعالية التى آثارتها حركة التحليل فى أول الأمر واستجابة هذه الحركة لها . واليوم بعد أن جاوزت حركة التحليل طور الطفولة واتضحت معالم الطريق أمامها نرى أرنست جونز وهو عالم كبير من علماء التحليل وأحد رجال الطليعة البارزين فيه يقول فى خطاب له ألقاه يوم ٣ يوليه سنة ١٩٤٦ أمام الجمعية البريطانية للتحليل النفسى [١] « يجب أن يكون قد اتضح الآن أن مستقبل التحليل النفسى ، فى مهامه العلاجية اليومية ، مرتبط بعلاقته بالطب ، فلن تجد نظريات التحليل النفسى قبولا أوسع إلا عن هذا الطريق . وقد احتضن بعض المحللين من ربع قرن الفكرة بامكان قيام مهنة مستقلة للتحليل ، ولكن هذه الفكرة من مخلفات الماضى . وفى الجدل الذى دار يومئذ حول إباحة التحليل لغير الأطباء وأصاب بعض الجمعيات بتفكك خطير وكاد يؤدى إلى انقسام الاتحاد الدولى كان رأيى يومئذ هو الذى أقوله اليوم . فقد كان واضحاً لى أنه إذا أبحنا الدخول إلى صفوف المحللين الممارسين للأطباء وغير الأطباء على حد سواء فستكون النتيجة مع الزمن غلبة الفريق الثانى وهم الذين لا يشعرون بالحافز على احتمال مشقة الدراسة الطبية بغير ضرورة ، وتخلف الفريق الأول ، ونكون بذلك إنما نعمل على إيجاد مهنة مستقلة غير طبية تؤذى مصلحة عملنا أبلغ الأذى . ومن ثم كان فى رأيى أن السماح لغير الأطباء بالمران ينبغى أن يكون الاستثناء الذى لا يباح إلا للذين يملكون مواهب سيكولوجية ممتازة . والواقع أنه لم يكن هناك مثل جمعيتنا فى قبول غير

(١) الجزآن الأول والثانى من « المجلة الدولية للتحليل النفسى » ، سنة ١٩٤٦ ص ١١ .

الأطباء ، فان أغلب الجمعيات فى أنحاء العالم قد منعت قبول هؤلاء منعاً باتاً . وإنى لأوكد أن النتائج تبرر سياستى . . . » . وإذا كان ارنست جونز قد تمسك بهذا الرأى يوم قست العواصف على التحليل واستهدف مصيره للخطر وتعلق مستقبله غامضاً فى كف القدر ، فما أحرى الغيورين على مصلحة هذا الفن الجديد من فنون العلاج أن يروا وجه الصواب فيه وقد هدأت العاصفة واستقر المصير واتضحت معالم الطريق .

ولا يرى الأستاذ المؤلف إباحة التحليل النفسى لغير الأطباء وحسب ولكنه يدعو أيضاً إلى التسامح مؤقتاً فى المؤهلات الجامعية والألقاب العلمية والاكتفاء بالنسبة لمن تنقصهم هذه المؤهلات باختبارهم على يد لجنة حكومية . . . الخ (ص ٣٨) ، وهو يذكر فى تبرير هذا الرأى أن فيه حلا وسطاً لمشكلة قلة المتخصصين فى العلاج النفسى ، وصيانة للحقوق المكتسبة للمشتغلين منهم ، كما أنه يتمشى مع السابقة التى عومل بها بعض محترفى مهنة طب الأسنان من غير الحائزين على مؤهلات جامعية . ولكنا لا نستطيع أن نقر الأستاذ المؤلف على هذا الرأى ، فليست الحقوق المكتسبة فى ظل الفوضى والإباحة بغير قيد لفريق قليل من الناس أجدر بالحفظ والصيانة من عقل الإنسان ، وإنه لخير أن تظل البلاد على هذا الفقر فى المختصين بالطب العقلى حتى ينتبه المسئولون على تدبير الصحة العقلية فى هذا البلد إلى مدى اهمالهم وقصورهم ، من أن يباح هذا الميدان لكل طارق فى حدود تقديرية غير محكمة فيعيثون فيه كما يعيثون الآن ، ويعبثون العبث المنكر بعقول الناس ونفوسهم وأخلاقهم ، ويزيدون من تشويه سمعة هذا الفن الناشىء بما يرتكبون من أقبح ألوان الشعوذة والدجل . وإن كاتب هذه السطور ليعرف بين المشتغلين ببعض فروع الطب العقلى عن طريق ادعاء التحليل من تخرجوا فى إصلاحيات الأحداث أو من حصلوا على « شهادات » لا قيمة لها من بعض البلاد الأجنبية عن طريق التراسل ، أو من قضوا جانباً من حياتهم يجوبون الريف فى الدجل والتسول ، ثم جاءوا القاهرة آخر الأمر يقتحمون ميدان الطب النفسى من أيسر السبل وهو ادعاء التحليل . ويملأون الصحف بالإعلان عن نفسهم فى غير تحرج ولا حياء ودون الخوف من المراجعة والحساب . وهذه حال مزعجة تهدد مستقبل الطب النفسى والعقلى فى مصر وتدعو إلى جانب كبير من يقظة الهيئات المسئولة أن تظل ممارسة هذا الفن من فنون العلاج فوق الدجل والشعوذة وفوق الترخص والابتذال . ولا شىء فى نظرنا يوقف اقتحام الأدعياء ميدان

الطب النفسى إلا التشريع المحكم الذى يحرم على غير الأطباء مزاولة التحليل أو غيره من فروع الطب العقلى إلا أن يكونوا من ذوى المؤهلات الجامعية الخاصة وبشرط أن يعملوا متعاونين مع المختصين بالطب العقلى لا مع الأطباء على وجه عام . وإن مثل هذه الضمانات لتحيط التحليل بسياج من الكفايات يمنع عنه الأفاقين إلى أبعد مدى مستطاع ولا يدع مجالا للاستثناء عن طريق أحكام تقديرية كثيراً ما يخطئها التوفيق .

على أن معالجة هذا الجانب من النقص فى مزاولة التحليل النفسى لا يحل المشكلة على إطلاقها ، فان التحليل النفسى وثيق الصلة بالطب العقلى ، وحل هذه المشكلة يقتضى مراجعة الأوضاع الراهنة فى التعليم الطبى وفى الطب كممارسة وقائية علاجية ، ويقتضى قبل هذا وذاك تصحيح تقويمنا للمرض على ضوء النظرة المستنيرة إلى الإنسان كوحدة من جسم وعقل ومجتمع . ولا يتسع المقام هنا لتفصيل هذا الإجمال ولعلنا نستطيع العودة إليه فى بحث خاص .

وبعد فالكتاب عرض جيد لمشكلة التحليل النفسى من وجهتها التاريخية ، ولكنه كدفاع عن قضية علمية يتشبث بالماضى ولا يتمشى مع الخطوات التقدمية التى أدركها التحليل . والأخذ برأى الأستاذ المؤلف ليس فى مصلحة مستقبل التحليل ولا فى مصلحة المرضى على وجه التحقيق .

صبرى جرجس

الكتب المهداة إلى المجلة

PUBLICATIONS RECEIVED

Attitudes to Minority Groups, A report prepared by a committee of psychologists and sociologists, under the chairmanship of Charles S. Myers. Newman Wolsey Ltd., London; 1946. Pp. 61.

Le Surnaturel et les Dieux d'après les maladies Mentales. Essai de théogénie pathologique, par Georges Dumas. P.U.F., Paris; 1946. Pp. 328.

L'Intelligence. Par Gaston Viaud. P.U.F., Paris; 1946. Pp. 120.

La Métapsychique. Tome Premier 1940-1946. (Institut Métapsychique International, Paris.). P.UF., Paris; 1946. Pp. 174.

The International Journal of Psycho-Analysis. (London)
Psychological Abstracts. (Lancaster, Pa.)
Pédagogie. (Centre d'études pédagogiques. Editions Spes; Paris. 1946.)

* * *

مشكلة التحليل النفسى فى مصر ، دراستها من النواحى العلمية والاجتماعية والقضائية والتشريعية . بقلم محمد فتحى بك ، المستشار بمحكمة استئناف مصر سابقاً وأستاذ علم النفس الجنائى بمعهد الدراسة الجنائية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول . القاهرة ١٩٤٦ ، ٢٢٩ ص .

النعب : تأليف الأستاذ أبو مدين الشافعى . (الناشر : دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٤٦ — ١١٨ ص) .

تاريخ الفلسفة اليونانية : تأليف الأستاذ يوسف كرم ، مدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول . (طبعة ثانية منقحة ومزيدة . القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٣١٥ ص) .

تاريخ الفلسفة الاوربية فى العصر الوسيط : تأليف الأستاذ يوسف كرم . (الناشر : دار الكاتب المصرى — القاهرة ١٩٤٦ — ٢٦٦ ص) .

الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى : تأليف الدكتور زكى محمد حسن ، أستاذ الفنون الإسلامية بكلية الآداب فى جامعة فواد الأول . الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة . (مطبوعات دار الآثار العربية . طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٤٦ — ٤٠٦ ص . فيه ٢٩ شكلا واردة فى متن الكتاب ومذيل بمجموعة من اللوحات الفنية على ورق مصقول عددها ١٦٠ وبخريطة إيران) .

دفاع عن العلم : تأليف ألبير بايه ، أستاذ الأخلاق والاجتماع بالسربون وتعريب الدكتور عثمان أمين ، مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الأول ومنشئ جماعة إحياء الفلسفة ومدير مجموعة نفائس الفلسفة الغربية . (الناشر : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه — القاهرة ١٩٤٦ — ١٥٤ ص) .

قصة النزاع بين الدين والفلسفة : تأليف الدكتور توفيق الطويل ، مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول . (الجزء الرابع من السلسلة الفلسفية والاجتماعية . الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة ١٩٤٦ — ٢٦٩ ص) .

البقية ص ٥٦٠